((ظَنَّ))

في القرآن الكريم

دراسة في مفهوم التضاد

•عقيل عكموش عبد
جامعة القادسية- كلية التربية

خلاصة البحث:

● يسعى هذا البحث إلى تقصي مفردة (ظنّ) واشتقاقاتها في القرآن الكريم، ومعرفة دلالة هذه المفردة القرآنية في ضوء السياقات المختلفة التي وردت فيها. وقد اتفق أهل اللغة، وكثير من المفسرين، ومن كتب في الأضداد، أو كادوا على ورود هذه المفردة في كلام العرب بشقيه الشعري والنثري، والقرآن الكريم بمعنيين متضادين هما: اليقين والشك. مع لحاظ سمة مهمة اتسمت بها كثير من المؤلفات التي تعنى بالدرس اللغوي، والمعجمات، وهي إنها تقدم معنى الشك على المعنى الآخر للمفردة وهو اليقين، وهي تنظر إلى المعنيين نظرة واحدة دون تمييز أحدهما على الآخر. وهو ما يحاول هذا البحث إثبات خلافه.

وعلى وفق ذلك تحاول هذه الدراسة مقاربة المعاني القرآنية لهذه المفردة للوقوف على حقيقة استعمالها قرآنياً، مستعينةً على ذلك بمرجعيات هذه المفردة لغوياً ونحوياً. وسيبدو واضحاً اعتماد الدراسة على السياق بوصفه جانباً مهماً من جوانب الكشف عن المعنى، إن لم يكن من أهمها على الإطلاق؛ إذ لا يمكن الاطمئنان إلى معنى واحد لأي مفردة لغوية من بين معانيها التي يمكن أن تدل عليها إلا بالنظر إلى السياق الذي ترد فيه هذه المفردة أو تلك.

ولعلنا نخلص في نهاية البحث إلى حقيقة مهمة؛ وهي إن القرآن الكريم استعمل المفردة في أكثر المواضع للدلالة على معنى "اليقين" واستعملها بالمعنى الثاني وهو "الشك" في مواضع قليلة. وهذا ما يدعونا إلى إعادة النظر في مسألة تقديم الكثير من القدامى لمعنى الشك على معنى اليقين في حديثهم عن دلالات هذه المفردة. وربما وجدنا في الاستعمال القرآني لها حافزاً على القول بإن المعنى الأول لها هو اليقين، وعن هذا المعنى انشق المعنى الآخر لها وهو الشك وهذا ما لم يتحدث عنه أحدٌ من القدامى أو المحدثين، فيما أعلم.

المبحث:

لقد حمل كثير من اللغويين ممن كتبوا في الأضداد[1]، والفروق اللغوية[2]، وممن بحثوا في دلالة المفردة القرآنية[3] كلمة "ظَنّ" واشتقاقاتها على أنها من الألفاظ المتضادة التي تحمل المعنى وضده، واتفقوا على أنها جاءت في القرآن الكريم بمعنيين متضادين هما: الشك، واليقين، فضلاً عن بعض المعاني الأخرى للمفردة؛ كالتهمة والكذب.

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين[٤] إلى إن الفعل (ظنّ) لا يحمل معنى الضدية في القرآن الكريم، وإن هذه المعاني المتضادة التي قال بها المفسرون، وأهل اللغة مأخوذة من افتراض تعبدي عقيدي، وهي مستفادة من فكرة الآية لا من الفعل نفسه. ولعلّ الذي قادهم إلى مثل هذا الاستنتاج أمران: الأول هو إنهم نظروا إلى بعض من النصوص القرآنية، وبنوا عليها أحكامهم، وأغفلوا الكم الآخر الكثير من الآيات التي ورد فيها (الظن). والذي لا شك فيه إن الاستقراء الناقص يؤدي إلى نتائج غير دقيقة. والأمر الثاني إنهم حاولوا النظر إلى المفردة القرآنية معزولة عن السياق الذي وردت فيه، وبذلك إهمال لجانب مهم من جوانب الكشف عن المعنى؛ وهو السياق الذي ترد فيه المفردة اللغوية؛ فالألفاظ إنما تستمد معانيها من السياقات التي ترد فيها، وإلا كيف نفسر كثيراً من الظواهر اللغوية في العربية، كالمشترك والترادف؟ ومما لاشك فيه ((إن مقدرة الكلمات على أداء وظيفتها لا تتأثر بحال من الأحوال بعدد المعاني المختلفة التي قدر لها أن تحملها، بدليل إن بعض هذه الكلمات تستطيع بالفعل أن تقوم بعشرات الوظائف في سهولة ويسر...وقد ينشأ التعارض عندما يكون للكلمة الواحدة معنيان أو أكثر يصلح كل منهما للمواقف والسياقات التي يصلح لها المعنى الآخر))[٥] وهذا مما ليس له وجود في اللغة.

وعلينا أيضاً ألا ننسى مسألة أخرى مهمة وهي إن المفسرين الذين قالوا بوجود المعنى المتضاد للكلمة إنما هم لغويون في الأصل، والذائقة اللغوية عندهم ربما تحسم كثيراً من الإشكاليات التي تثار حول بعض المعاني القرآنية. أضف إلى ذلك أننا نجد في استعمال العرب في الشعر لـ(ظنّ) ما يرد ما ذهب إليه من رأى أنّ توجيه النص القرآني عقائدياً هو الذي أوقفنا على معاني متضادة لهذه المفردة القرآنية أو تلك.

وقد روى الأنباري في كتابه (الأضداد) مجموعة من الشواهد الشعرية تتصرف فيها دلالة (ظنّ) إلى اليقين[٦].

قال الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفي مقاتل
سراتهمُ في الفارسيّ المُسَرَّدِ

ومعنى ظنوا هنا كما يقول الأنباري: تيقنوا.

وقال آخر:

رُبَّ هم فرّجْتَــــهُ بغريم
وعيـــوبٍ كشفتها بظنونِ

معناه كشفتها بيقين وعلم ومعرفة.

والذي يلفت انتباه الباحث عند النظر إلى كتب الأضداد، والكتب التي تعنى بالمفردة القرآنية أمران: الأول: إن بعض هذه الكتب تقدم معنى الشك على اليقين عندما تذكر معنى (الظن) في مصاديقه القرآنية[٧]. فضلاً عن إن بعضها يحمل بعض الآيات التي يدل فيها (الظن) على اليقين بقرائن عدة على معنى الشك[٨]. والثاني: إننا نجد جميع هذه الكتب تنظر إلى المعنيين المتضادين في ضوء الاستعمال القرآني للظن نظرة متساوية، فهي تتحدث عن معنى الشك بالنَفَسِ نفسه الذي تتحدث به عن معنى اليقين. ولعلنا سنكتشف في المواقع القادمة من البحث خطا ما ذهبوا اليه، أو ابتعاده عن الصواب كثيراً.

وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة جداً وهي إن الكلمة من كلمات الأضداد لم توضع -بطبيعة الحال- للدلالة على المعنيين المتضادين في بادئ الأمر، وإنما وضعت لإحداهما ثم جدت عوامل مختلفة أدّت إلى نشأة المعنى الآخر المضاد للمعنى الأول. يقول الأنباري: ((إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الإثنان على جهة الاتساع))[٩]. ولا يعنينا هنا تعداد وعوامل نشأة ظاهرة الأضداد في اللغة، فقد أطال الحديث عنها كثيرٌ من الباحثين[١٠].

وثمة مشكلة أخرى تواجه البحث اللغوي وهي إننا لا نجد منهجاً واضحاً عند أصحاب المعجمات في ترتيب معاني المفردة اللغوية داخل المعجم، ولكن يمكن القول إنهم كانوا يأتون بالمعنى الحقيقي للمفردة اللغوية بادئ الأمر، ثم يأتون على تعداد المعاني الأخرى المنزاحة عن أصلها اللغوي. ومراجعة لأي معجم من المعجمات يمكن أن تعطينا هذا التصور. ووفقاً لهذا يمكننا تبرير تقديم معنى الشك لـ(ظن) عند الكثيرين إذا ما رأينا تقديم أهل المعجمات[11]، هذا المعنى على غيره بوصفه المعنى الأصل للمفردة. ومن هنا تبدأ إشكالية هذا الموضوع على وفق الاستعمال القرآني لـ(ظنّ)، واشتقاقاتها. فالقرآن الكريم يستعمل (ظن) -كما سيتضح- للدلالة على اليقين في نسبة كبيرة جداً من استعماله للمفردة، وهذا ما يقودنا إلى إعادة النظر، أو إمكانية إعادة النظر في الأصل اللغوي لهذه المفردة.

وبعيداً عن الاختلافات الكبيرة والواضحة بين العلماء في مدى انطباق هذه المفهومات؛ أعني مفهوم الضدية في معنى (الظن) في القرآن الكريم أو عدم انطباقها، سنقف عند الاستعمال القرآني لهذه المفردة القرآنية، واشتقاقاتها مراعين مسألة جوهرية وأساسية في تحديد المعنى وهي مسألة السياق الذي ترد فيه هذه المفردة القرآنية فالكلمات لا تحيا بمعزل عن السياق الذي وردت فيه؛ فلا يمكن عزل الكلمة عن جاراتها داخل التركيب، أو الآيات المجاورة لها.

والذي يجب الوقوف عنده قبل ذلك معرفة معنى (الظن) في كلام العرب. فقد قيل: ((الظن اسمٌ لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم))[12]. وقد امتازت (ظن) من بين الأفعال الدالة على الظن بدلالتها على الضدين، اليقين، أو الشك[13]. والسبب، في ذلك إنه (إنما جاز أن يقع (الظن) على الشك واليقين؛ لأنه قول بالقلب)[14]. كما يقول الأنباري.

لقد استعمل القرآن الكريم مفردة (ظنّ) في تسعة وستين موضعاً، ولعلنا نستطيع تقسيم هذا الاستعمال القرآني للمفردة واشتقاقاتها على ثلاثة أقسام:

الأول: استعملها بصيغة الفعل بزمنيه الماضي، والمضارع، بصيغ المفرد والمثنى والجمع، مسنداً، أو غير مسند إلى ضمير في سبعة وأربعين موضعاً.

الثاني: استعملها بصيغة المصدر، مفرداً أو جمعاً، نكرة أو معرفة في واحد وعشرين موضعاً.

الثالث: استعملها بصيغة اسم الفاعل مرة واحدة فقط.

وسنقف عند كل استعمال بشيء من التفصيل، محاولين تلمس المعاني القرآنية للصيغ المختلفة لـ(الظن).

الأول: الاستعمال بصيغة الفعل:

أ-الفعل الماضي:

١-الفعل الماضي المجرد (ظَنَّ):

جاء الفعل (ظَنَّ) بصيغة الفعل الماضي المجرد في سبعة مواضع[15]. قال تعالى: ((إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً))[16]. والناظر إلى محيط الآية القرآنية لا يمكنه إلا أن يحمل الفعل (ظنّ) الوارد فيها على اليقين. يقول الزمخشري: ((قادرون عليها" متمكنون من منعتها، محصلون لثمرتها رافعون لعلتها. (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم))[17].

وفي مكان آخر يقول الله تعالى: ((وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ))[18] ترى أن الذي ظنّ سواء كان يوسف (عليه السلام) أو صاحبه الذي شاهد الرؤيا، إنما أصبح على علم من خلال هذه الرؤيا أنه سيخرج من السجن، ولعلنا نجد في تتمة الآية ما يدل على أن الظن

هو يوسف (عليه السلام) بدليل قوله تعالى: ((اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)). ولا يمكن أن تحمل هذا الظن على المعنى الثاني وهو الشك بوجود هذه القرينة الدالة على يقينه من خروجه.

ويمكن أن تقول القول نفسه في قوله تعالى: ((وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ))[١٩]، وقوله: ((كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ*وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ))[٢٠]. والمواضع الأخرى التي ورد فيها الفعل بصيغته المشار اليها آنفاً.

والذي يستوقف الباحث في هذا المقام إننا نرى بعض علماء العربية من المتقدمين من يرى أنّ (ظنّ) في قوله تعالى: ((إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ))[٢١]، إنما يفسر بالشك لا باليقين[٢٢]. ولعلّ نظرة سريعة إلى جو الآيات القرآنية المجاورة لهذه الآية في سورة الانشقاق يكشف لنا بُعد ما ذهبوا إليه قال تعالى: ((وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً* وَيَصْلَى سَعِيراً* إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً* إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ* بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً))[٢٣].

فإذا عرفنا أن الآيات نازلة بحق احد كفار قريش ومعانديهم، ولعله أبو جهل فلا يمكن أن تقول أنه كان شاكاً في أنه لا يرجع إلى ربه، فهو بمحض كفره وعناده كان مستيقناً من أنه لا رجعة إلى الله سبحانه، ولو كان يرى خلاف ذلك ما حمل نفسه على ما حملها عليه، وبمقتضى ذلك يكون الظن الوارد في الآية يقيناً، فهو كان على يقين -حسب رأيه- من أنه لن يحاسب، ولن يحشر إلى الله مرة أخرى، بدليل سروره بما كان يفعل، وافتخاره أمام قومه وأهله بما فعله بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأصحابه.

٢-الفعل الماضي المسند إلى الف الاثنين (ظنا).

جاءت هذه الصيغة في موضع واحد فقط من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ((فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ))[٢٤]، وعلى الرغم من أن الزمخشري لا يحمل الظن هنا على اليقين، ويتهم من ذهب إلى ذلك بالوهم[٢٥]، فإننا نجد غيره من العلماء من يصرح بان الصيغة إنما وردت للدلالة على اليقين والعلم[٢٦]. وبعيداً عن هذا وذاك فان نظرة فاحصة إلى حال النص الكريم يمكن أن توصل المتأمل إلى إن الظن هنا لا يمكن أن نحمله على معنى الشك، أو الرجحان لمسألة ما. بل إنّ النص الكريم يطالبهما بوجود يقين منهما في إقامة حدود الله سبحانه في حق الزوجية والعشرة، وبعد ذلك شرطاً حتى يتمكن من الزواج منها مرة أخرى بعد ان تنكح زوجاً غيره. وربما وجدنا في نهاية الآية الكريمة ما يرجح هذا الذي ذكرناه. يقول الله سبحانه في ذيل الآية ٢٣٠ من سورة البقرة: ((وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)). ولعل قراءة للآية السابقة على هذه الآية يمكن أن تعضد ما ذهبنا إليه. يقول الله تعالى: ((وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ))[٢٧]. فالحكم المترتب على هذه الآية مبني على الخوف من عدم إقامة حدود الله سبحانه. ومقتضى هذا الخوف -بطبيعة الحال- هو عدم رجحان كفة على أخرى. وهو بخلاف اليقين الذي اشترط لتحقق الحكم في الآية التي ذكرنا سابقاً.

٣-الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة (ظنّوا).

وردت هذه الصيغة في تسعة مواضع في القرآن الكريم[٢٨]. والمتأمل في هذه المواضع يجد الصيغة واضحة الدلالة على اليقين دونما تعسف في فهم النص. ولعلنا نجد تصريحاً من بعض العلماء في دلالة هذه البنية على اليقين. يقول الشريف المرتضي في توجيه المعنى في قوله تعالى: ((وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً))[٢٩]. (ليس يجوز أن يكون أهل الآخرة ظانين لدخول النار بل عالمين قاطعين)[٣٠]. وبالرغم من ذلك فإننا لا نعدم اختلافاً ورد

في توجيه القدامى لمعنى هذه البنية في القرآن الكريم، فقد ذهب بعضهم إلى أنَّ الفعل في قوله تعالى: ((وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ))[٣١] قد جيء به للدلالة على الشك. ولا يخفى ما في هذا التوجيه من بعد عن الحقيقة؛ فلو كانوا شاكين، غير متيقنين من رجوعهم إلى الله سبحانه ما قدموا على ما قدموا عليه. يقول الراغب الاصفهاني: (إنه استدل فيه أنَّ المستعمل مع الظن الذي هو للعلم تنبيهاً أنهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشيء المتيقن)[٣٢].

وكذلك نجد غير واحد من العلماء قد ذهب إلى ان الفعل (ظنوا) في قوله تعالى: ((وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ))[٣٣] إنما هو للدلالة على المعنى الثاني للظن، وهو الشك[٣٤]. ولو دققنا النظر في النص القرآني الكريم لوجدنا أن الظن المنسوب إلى اليهود لا يمكن حمله على الشك، فهم أيقنوا بموجب تفكيرهم أنَّ حصونهم مانعتهم من الله؛ فراحوا يحاربون الله وأوليائه، ليقين منهم بما كان من أحوالهم عامة، ولولا ذلك لما لجأوا إليها، ولو شكوا في ذلك لما لجأوا إلى المعاندة وسلوك طريق الكفر والجحود. ولعلنا نجد عند الزمخشري اجتهاداً رائعاً في ترجيح هذا المعنى؛ يقول: (فان قلت: أي فرق بين قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم، أو مانعتهم وبين النظم الذي جاءت عليه الآية؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسماً لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم، أو يطمع في معارضتهم، وليس ذلك في قولك: وظنوا أنَّ حصونهم تمنعهم)[٣٥] فضلاً عما يوحي به استعمال الاسم (مانع) من التلويح بالثبوت والاستقرار والدوام، الأمر الذي لا نجده في استعمال الفعل. ويمثل ذلك تحدث ابن الأثير في حديثه عن التقديم والتأخير[٣٦].

٤-الفعل الماضي المسند إلى تاء الفاعل. (ظننتُ).

وردت هذه الصيغة مرة واحدة أيضاً في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ((إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ))[٣٧]، وغير خافٍ على المتأمل إن الظن هنا مرادٌ منه اليقين، فالنص يتحدث عمن أوتي كتابه في يمينه وغير خافٍ إن أمثال هؤلاء كانوا على يقين بلقاء الله. وقد قال غير واحد من العلماء بدلالة الصيغة على اليقين هاهنا[٣٨]. قال أحد المفسرين (ظننتُ: علمت، وإنما جرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام. ويقال: أظن ظناً كاليقين أنَّ الأمر كيت وكيت))[٣٩].

٥-الفعل الماضي المسند إلى جماعة المخاطبين (ظننتم).

جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ستة مواضع، كانت في موضعين منها مصاحبة للمصدر من (ظنّ)[٤٠]، وتكررت في المواضع الأربعة الباقية غير مصاحبة للمصدر[٤١]. ففي قوله تعالى: ((وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ* وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[٤٢]. نجد في النص أنَّ البنية تكررت ثلاث مرات، مرتين بالصيغة الفعلية، والثالثة بصيغة المصدر. ولعلّه غير خاف دلالتها في جميع مواضعها على اليقين. وقد أشار بعض القدامى إلى هذا المعنى[٤٣]. فالكفار كانوا بحكم جهلهم على يقين من أنَّ الله سبحانه لا يرى أعمالهم التي كانوا يستترون ويستخفون عند ارتكابهم إياها. ولعلَّ عظم دهشتهم التي تصورها الآيات (١٩-٢١) من السورة نفسها، عندما حشروا للحساب، ورأوا عاقبة أعمالهم، وكيف أن جوارحهم قد شهدت عليهم دليل على إن الذي كانوا فيه إنما هو يقين منهم أن الله لا يرى أعمالهم. بل وفي الآية (٢٥) من السورة نفسها ما يدل

على ذلك أيضاً. فالله سبحانه وتعالى كان قد قيض لهم قرناء زينوا لهم عملهم وحسنوه في أعينهم[٤٤]، بقوله: ((وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ))[٤٥].

وما قلناه، قبل قليل يمكن أن ينطبق على قوله تعالى: ((بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً))[٤٦]، فضعف إيمان المخلفين من الأعراب هو الذي جعلهم على يقين من عدم عودة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين إلى أهليهم واعتقدوا بهلاكهم؛ ولذلك اعتذروا عن الخروج مع النبي، وهذا الظن الذي به وجهوا أعمالهم هو الذي أهلكهم[٤٧].

ويثير دهشة الباحث ما ذهب إليه الفيروزآبادي في توجيهه المعنى في قوله تعالى: ((وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً))[٤٨]، إذ يقول إن الظن الوارد في الآية الكريمة بصيغتيه إنما هو للدلالة على الشك[٤٩]. وهل كان شياطين الجن، وكفار مكة شاكين في أمر البعث، أو إنهم كانوا منكرين له جاحدين؟ والحال إنهم بجهلهم وكفرهم كانوا قد استيقنوا أنّ الله لن يبعثهم بعد حياتهم هذه؛ ولذلك اقبلوا على ما اقبلوا عليه من محارم.

٦-الفعل الماضي المسند إلى (نا) المتكلمين: (ظنّنا).

تكررت هذه الصيغة في موضعين من سورة الجن في قوله تعالى: ((وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً))[٥٠]، وقوله: ((وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً))[٥١]. فالضمير (نا) في الآيتين يعود على الذين آمنوا من الجن عند استماعهم القرآن الكريم، وهؤلاء النفر من الجن كانوا على يقين بأن أحداً من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق، وعلى ذلك كانوا يصدقون ما يضيفه سفهاؤهم من أوصاف لا تليق بالله سبحانه، حتى تبين لهم خلاف ذلك عنهم استماعهم القرآن الكريم[٥٢]. ووفق ذلك فقد ابتعد كثيراً عن الصواب من ذهب من القدامى إلى توجيه الظن هنا بمعنى الشك[٥٣].

والفعل في الآية الثانية واضح الدلالة على اليقين. يقول الزمخشري في توجيه الآية: (إظن بمعنى اليقين، وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم، منهم أخيارٌ..يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجى عنه مهرب)[٥٤]. وقد ذهب الأنباري إلى هذا المعنى أيضاً[٥٥].

ب-الفعل المضارع.

١-الفعل المضارع للمتكلم (أظنُّ).

وردت هذه البنية في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وجاء الفعل منفياً بـ(ما) في المواضع جميعها. وهنا لابد من النظر إلى البنية متحدة لا منفصلة، فلا يمكن النظر إلى الفعل (أظن) لوحده دون النظر إلى أداة النفي التي دخلت عليه. ففي قوله تعالى: ((مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً))[٥٦] نجد أن الكافر كان متيقناً بدوام جنته وعدم بيدودتها، ولم يكن لديه أدنى شك بذلك (لطول أمله، واستيلاء الحرص عليه، وتمادي غفلته، واغتراره بالمهلة، واطرحه النظر في عواقب أمثاله)[٥٧]. وفي قوله تعالى: ((وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً))[٥٨] نجد الكافر يصرح بوضوح بإنكاره قضية البعث والحساب، فهو بمقتضى كفره كان بحكم المتيقن من عدم قيام الساعة، ولولا ذلك الذي ذهب إليه من الرأي ما وصل إلى هذه الادعاء. ولعلنا نجد في سياق سورة الكهف ما يؤيد هذا الذي ذهبنا إليه، فقد أقر صاحبه عليه بالكفر، وجعله كافراً لإنكاره البعث والحساب. قال الله تعالى: ((قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً))[٥٩].

٢-الفعل المضارع للمتكلم المسند إلى ضمير المخاطب.

(أظنك) تكررت هذه الصيغة في النص الكريم في موضعين فقط في سورة واحدة وهي سورة الإسراء، في سياق قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، وهما قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً))(٦٠)، وجاء الرد على لسان موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: ((وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً))(٦١).

والمتأمل في سياق هذه القصة القرآنية في موضعيها السابقين حصراً يمكن له أن يطمئن إلى نتيجة واضحة في تأويل معنى (الظن) الوارد في الآيتين؛ وهو اليقين، فإن فرعون كان متيقناً -بمقتضى أحواله- أو يريد أن يوهم من سمعوا خطابه بأنه متيقن من أن الذي جاء به موسى إنما هو السحر. وفي رد موسى (عليه السلام) نجده يصرح بأنه على يقين من هلاك فرعون يزعمه هذا وبإنكاره رسالة ربه. ولعلنا نستطيع أن نتلمس جملة من الأدلة للبرهنة على ما ذهبنا إليه:

١-إننا نجد في الآيتين استعمال أكثر من مؤكد واحد في حديث المتحاورين؛ موسى وفرعون، فقد استعمل كل منهما (إنّ، واللام) في كلامه. ولا يخفى أن المؤكد يستعمل للتأكيد على حقيقة لا على شك وتوهم.

٢-إن توجيه معنى الظن الذي قال به فرعون باليقين له ما يؤيده من سياق الحال؛ فهو إنما أراد أن يقابل دعوة موسى عليه السلام، سواءً بإنكاره إياها، أو بمحاولة إقناع الآخرين من أتباعه بعدم صحتها؛ وبذلك لا يمكن أن يكون ردّه عليه بالشك في دعوته، أو في براهينه، بل بالقطع بعدم صحتها، ونسبتها إلى السحر. فإن قيل ان ذلك مردود بقوله تعالى في الآية التي تليها مباشرة على لسان موسى: ((قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ))(٦٢). فكيف يكون فرعون على يقين بكذب دعوة موسى، وهو مُخْبَرٌ عنه بهذه الحال؟ ويمكن الرد على هذا بأمرين: الأول: إن فرعون لم ينكر في رده مصدر هذه الآيات بل اعرض عن ذلك واتهم موسى بالسحر. والثاني: ان فرعون إنما أراد أن يرد دعوى موسى (عليه السلام) لأنه طلب منه ذلك أمام قومه وحاشيته، فهو أراد إقناعهم، والبرهنة لهم بعدم صحة ما جاء به موسى بنسبة دعواه إلى السحر. ولعل سياق المقام والحال يؤيد هذا إلى حدّ بعيد.

٣-لا يمكن توجيه معنى الظن الذي قال به موسى إلا على اليقين، فهو متيقن من هلاك فرعون، ولو كان شاكاً في ذلك فكيف يستطيع إقناع الآخرين ممن وجهت لهم الدعوة بما جاء من ربه. ولعلنا نلمس في سياق الآية التالية لقول موسى ما يدعم هذا. قال تعالى: ((فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً))(٦٣). وفي ذلك تصديق ليقين موسى (عليه السلام).

٣-الفعل المضارع للمتكلم، مسنداً إلى ضمير الغائب المفرد. (أظنه).

استعمل النص الكريم هذه البنية في موضعين من سورتين مختلفتين للحديث عن قصة واحدة، وهي قصة انكار فرعون لله سبحانه، وأمره هامان ببناء الصرح. وإذا نظرنا إلى الآيتين الكريمتين نجد إن السياق فيهما متشابه إلى حد كبير. قال تعالى: ((لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ))(٦٤)، وقال: ((فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً))(٦٥). وربما وجدنا في الحديث عن البنية السابقة في موضعيها ما يغني عن التكرار هاهنا. وقد أقرّ بعض المفسرين بمثل هذا في حديثه عن هذين النصين(٦٦).

٤-الفعل المضارع المبدوء بالتاء. (تظنُّ).

جاءت هذه البنية مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ))(٦٧). وربما كان النظر إلى سياق الآيات القرآنية في السورة نفسها، فضلاً عن أن في سياق الحال الذي

هم عليه دليلاً على دلالة الفعل على اليقين مما سيلقونه في ذلك يوم من هول عظيم سيحل بهم. ولعلنا نلمس في دلالة كلمة (باسرة) وهي شدة العبوس صفة لوجوههم ما يعين على ترجيح هذا المعنى دون غيره.

٥-الفعل المضارع للمخاطبين (تظنون).

تكررت هذه البنية في موضعين من القرآن الكريم؛ الأول في سورة الإسراء وهو قوله تعالى: ((وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً))[٦٨]، وقد لا نجد بأساً من صرف معنى الفعل فيها إلى اليقين، فهم من شدة ما نزل بهم، ولهول ما رأوه يوم القيامة كانوا قد حسبوا أن مدة لبثهم ما هي إلا مدة يسيرة قليلة[٦٩]. ولكننا قد نجد اختلافاً في تأويل معنى الفعل في الموضع الثاني؛ وهو قوله تعالى: ((وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا))[٧٠]. فقد ذهب بعض القدامى إلى توجيه معنى الظن الوارد في الآية بصيغتيه الفعلية، وصيغة المصدر بمعنى الشك[٧١]، على الرغم من إمكانية توجيه المعنى فيها باليقين، إن لم يكن هذا الثاني هو المقصود فعلاً. فالخطاب في الآية موجة (للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والإقدام، والضعاف القلوب: الذين هم على حرف، والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان الاّ بألسنتهم)[٧٢] وعلى هذا لا يمكن حمل حال المؤمنين بالله سبحانه الإيمان الحق بأنهم كانوا شاكين بالله ونصره، غير مستيقنين منه، وعلى ذلك لا يبقى للظن في الآية الكريمة إلا معنى واحد؛ وهو اليقين.

ولعلنا نجد في سياق الآيات التالية لهذه الآية ما يؤيد هذا الذي ذهبنا إليه، فالمنافقون أيقنوا بموجب نطاقهم وعدم وثوقهم بالله سبحانه إنهم مقتولون أو مهزومون على الأقل؛ لذلك صرح القرآن الكريم بنواياهم هذه بقوله: ((وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً))[٧٣]، وقوله: ((يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً))[٧٤]. والمؤمنون كانوا أيقنوا بنصر الله سبحانه وتعالى لهم، فكان حالهم أن ثبتوا. قال تعالى: ((وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً))[٧٥]، فمن كان هذا وصفهم في القرآن لا يمكن أن تصف أحوالهم في الزحف بالشك بأمر الله، أو الظن به ظناً سيئاً.

٦-الفعل المضارع لجماعة المتكلمين (نظنُّ):

جاءت هذه الصيغة مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ((إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ))[٧٦]. وهنا نجد الصيغة قد اقترنت بالمصدر (ظناً)، فكان المعنى فيها للدلالة على الشك، وفي قرينة (ما نحن بمستيقنين) ما يدل على ذلك ويغني عن كثير من الحديث.

٧-الفعل المضارع لجماعة المتكلمين مسند إلى كاف المخاطب. (نظنك)

جاءت هذه الصيغة في موضعين من القرآن الكريم؛ الأول في سورة الأعراف: ((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[٧٧]، والثاني في سورة الشعراء: ((وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ))[٧٨]. ولا يخفى ما في النصين من دلالة على اليقين الذي كان حال الكفار المنكرين لرسالات ربهم، فالقرآن يصور حال إنكارهم لجميع ما أرسل إليهم بأنهم كانوا مستيقنين بما هم عليه. ولعلَّ في طلبهم إنزال ما وعدهم أنبياء الرحمن بهم من عذاب دليل على وثوقهم بما كانوا يعتقدون، فقوم هود الذين تتحدث عنهم الآية من سورة الأعراف كانوا يقولون لنبيهم: ((أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))[٧٩]، وكذلك حال قوم شعيب (عليه السلام)؛ إذ قالوا لصاحبهم: ((فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))[٨٠]، وفي ضوء هذه النصوص الكريمة لا يمكن أن نحمل الظن الذي أخبر به عنهم القرآن الكريم إلا على اليقين الذي كانوا يتصورونه، وإلا لما طلبوا أن يحلَّ بهم ما حلَّ.

٨-الفعل المضارع لجماعة المتكلمين مسند لضمير المخاطبين (نظنكم).

وردت هذه البنية مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ))[٨١]. وهنا نستطيع توجيه المعنى بمثل ما وجه به معنى النصين السابقين لتشابه السياق في الموضعين؛ مستدلين بطلب قوم نوح (عليه السلام) من نبيهم، وهم المخاطبون في هذه الآية أن ينزل عليهم ما كان يعدهم. ((قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))[٨٢].

٩-الفعل المضارع للمفرد الغائب الواحد. (يظن).

تكررت هذه البنية في موضعين من القرآن الكريم، الأول قوله تعالى: ((مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ))[٨٣]، وهو خطاب موجه إلى الذين أنكروا إمكانية نصر الله سبحانه وتعالى رسوله في الدنيا والآخرة ولم يصدقوا بذلك، والقرآن يخاطب الذين ظنوا ذلك، وأيقنوا به أن يفعلوا ما أمرهم به، وفي ذلك تحد واضح لهم.

والموضع الثاني قوله تعالى: ((أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ))[٨٤]. يقول الزمخشري في تفسير الآية: (ألا يظن؟ إنكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخميناً (إنهم مبعوثون)...وقيل الظن بمعنى اليقين)[٨٥]، أي لا يحصل من أولئك يقين من أنهم مبعوثون على الرغم مما أتاهم من الدلائل الواضحة، والأمارات التي لا لبس فيها، وهو نهاية في ذمهم[٨٦].

١٠-الفعل المضارع لجماعة الغائبين (يظنون).

تكررت هذه البنية خمس مرات في القرآن الكريم[٨٧]. وقد وردت احداها مصاحبة للمصدر من الفعل (ظن). وتبدو هذه الآية موضع نظر وتدقيق وتأمل. قال تعالى: ((وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ))[٨٨]، والذي يبدو لأول وهلة أن الظن الوارد في الآية إنما هو بمعنى يخالف اليقين بأية حال من الأحوال، ولكننا إذا دققنا النظر في سياق الآيات التي ورد فيها هذا النص من سورة آل عمران[٨٩] نجد النص يتحدث عن المنافقين، وموقفهم في معركة أُحد، تلك المعركة التي انهزم فيها المسلمون لخلافهم أوامر النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فهم (ما بهم إلا هم أنفسهم، لا هم الدين، ولا هم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والمسلمين، قد أوقعتهم أنفسهم وما حلّ بهم في الهموم والأشجان...يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به)[٩٠]، فهم إذا على يقين من أحوالهم، وقد دفعهم ذلك اليقين إلى اتخاذ مثل هذه المواقف. على أن ذلك اليقين منهم لم يكن اليقين الحق الذي يجب أن يتخذه المسلم، وربما أشارت الآيات التي إشرنا اليها من قبل قليل إلى مثل هذا المعنى.

اما المواضع الأربعة الأخرى، فهي مقسمة بالتساوي، موضعان منها فيهما الفعل للدلالة على اليقين؛ هما قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))[٩١]، وقوله: ((قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ))[٩٢]، وموضعان منها للدلالة على خلاف العلم واليقين؛ وهما قوله تعالى: ((لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ))[٩٣]، وقوله: ((وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ))[٩٤]. وتبدو واضحة دلالة الأفعال في هذه الآيات على ما رجحناه. ولا حاجة إلى إطالة الحديث عنها.

جـ-صيغة المصدر (الظن).

ورد المصدر من (ظَنّ) في واحد وعشرين موضعاً من القرآن الكريم؛ وقد اختلفت الصيغة التي جاء عليها المصدر من آيات إلى أخرى؛ فقد جاء معرفاً بـ(أل) التعريف في عشرة مواضع[٩٥]، وجاء مجرداً من (أل)

مضافاً إلى غير الضمير في خمسة مواضع[٩٦]، وجاء مضافاً إلى الضمير في ثلاثة مواضع؛ اثنان منها أضيف فيهما إلى جماعة المخاطبين (ظنكم)[٩٧]، وموضع واحد أضيف فيه إلى ضمير المفرد الغائب (ظنه)[٩٨]، وجاء مجرداً عن (أل)، والإضافة في موضعين فقط[٩٩]. وهذه المواضع كان المصدر فيها جميعاً بصيغة المفرد. وجاء المصدر بصيغة الجمع مرة واحدة فقط في القرآن الكريم[١٠٠]، كان معرفاً فيها بـ(أل) التعريف.

وقبل الحديث عن دلالة المصدر بصيغه المختلفة نشير إلى قضية تحدثنا عنها في مواضع مختلفة من البحث؛ وهي مسألة مصاحبة المصدر في بعض الآيات الفعل من البنية نفسها. وقد تكررت هذه الحالة في خمسة مواضع كان لدلالة اليقين فيها نصيب كبير؛ إذ كان في أربعة مواضع[١٠١]. وكان للدلالة الأخرى المضادة فرصة واحدة فقط[١٠٢]وقد فصّل الحديث في مواضع متفرقة من البحث هذه المسألة. وقد صاحب المصدر في مرّة واحدة اسم الفاعل المشتق من الجذر اللغوي نفسه. وسنؤجل الحديث عن هذه الصيغة إلى موضع قريب.

وفيما عدا ما تقدم نستطيع القول مطمئنين: إن الظن الوارد بصيغة المصدر على اختلاف أحواله إنما جاء للدلالة على المعنى الآخر للظن؛ وهو الشك، وعدم التثبت، أو الكذب، أو التوهم وسنقف عند مصداقين للاستدلال على ما تقدم. قال تعالى: ((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً))[١٠٣]، وقال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ))[١٠٤] ولا تخفى دلالة المصدر في الآيتين على الشك، وعدم اليقين، والتوهم.

د-صيغة اسم الفاعل.

وردت هذه البنية في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ((وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً))[١٠٥]. والحديث عن دلالة الظن هاهنا يستدعي معرفة الظن الذي ذهبوا إليه والذي وصفته الآية بالظن السيء، ولا خلاف في إن (ظنهم أنّ الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين، ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين، فاتحيها عنوة وقهراً)[١٠٦]. وعلى هذا يمكن أن نحمل معنى الظن الوارد في الآية بصيغة اسم الفاعل والمصدر على اليقين، فالمشركون والمنافقون كانوا بحكم تفكيرهم على يقين من أن النبي وأصحابه لا يعودون إلى مكة، وإلا لما أخرجوهم من ديارهم، واستولوا عليها وعلى أملاكهم وما تعلق بذلك الأمر. وفي سياق الآية نفسها ما يعين على ترجيح هذا المعنى؛ فالله سبحانه وتعالى يخبر عن إنه سيعذبهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويعد لهم جهنم جزاءاً لهم بما فعلوا، ولعلّ هذا كله لا يكون من الله سبحانه إلا لمن استحكم عليه الجهل، واستوثق واستيقن الكفر والإصرار على إيذاء النبي وأصحابه.

-دلالة الفعل في ضوء مرجعياته النحوية.

بعد أن استقرأنا دلالة الفعل (ظنّ) وما اشتق منه في القرآن الكريم، وتلمسنا وروده على معانٍ متضادة، كان أكثرها الدلالة على اليقين، نحاول الآن قراءة دلالة هذه المفردة القرآنية في ضوء ثلاث مرجعيات نحوية ذكرها النحاة، وأهل اللغة:

المرجعية الاولى: يقول بعض اللغويين: (الظن اسم لما يحصل عن أمارة)، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حدّ التوهم. ومتى قوى أو تصور تصور القوي استعمل معه (أنّ (المشددة و(أنْ) المخففة منها. ومتى ضعف استعمل معه (أنْ) المختصة بالمعدوم من القول والفعل)[١٠٧]. والنص هنا واضح الاشارة إلى إنّ الظن متى ما استعمل معه (أنّ، وأنْ) كان للدلالة على اليقين، ومتى ما استعملنا معه (أنْ) الناصبة للفعل المضارع كان للدلالة على خلاف ذلك.

وإذا راجعنا النصوص القرآنية التي يرد فيها (الظن) بكل أشكاله وجدنا خروجاً واضحاً عن هذا الذي تقدم؛ فمرة نجد النص القرآني تتصرف فيه دلالة (ظَنَّ) إلى اليقين من غير اقترانه بـ(أنّ) أو (أن)، كقوله تعالى: ((وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ))[108]، وقوله: ((وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ))[109]. ولن نطيل الحديث عن دلالة الفعل في الآيتين لوضوح انصرافه إلى اليقين فضلاً عن إن الحديث قد مرّ عن معنى هاتين الآيتين في مواضع أخرى. وقد تكررت مثل هذه الحالة في نصوص أخرى كثيرة[110].

ومرة أخرى نجد النص الكريم يستعمل (أنْ) الناصبة للفعل المضارع مع (ظنّ) مع بقاء دلالتها على اليقين. ومن ذلك قوله تعالى: ((مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا))[111]، وقوله: ((تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ))[112]. وتكررت مثل هذه الحالة في موضعين آخرين من القرآن الكريم[113].

واعتماداً على ما تقدم لا تبقى قيمة حقيقية لهذا المعيار، ويبقى المعيار الأساس، للكشف عن دلالة المفردة القرآنية هو السياق الذي ترد فيه. فالسياق وحده هو الذي يكفل الكشف عن هذه الدلالة.

المرجعية الثانية: وهي تنص على أنّ (الظن) لا يمكن أن يكون بمعنى الشك، أو اليقين إلا إذا تعدى إلى مفعولين، وبخلاف هذا الشرط يمكن أن يذهب المعنى إلى شيء آخر، كالتهمة، أو الكذب[114].

ونظرة فاحصة للنصوص القرآنية تكشف لنا عدم اطراد هذه القاعدة؛ إذ نجد مجموعة من النصوص القرآنية يكون فيها (الظن) للدلالة على المعنيين المتضادين من غير أن يستوفي مفعوليه كما اشترط أصحاب هذا الرأي. قال تعالى: ((وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً))[115] وقال: ((إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ))[116]، وقال: ((وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا))[117]. وقد مرّ الحديث عن هذه النصوص الثلاثة في غير موضع من البحث؛ فالنص الأول تتصرف فيه دلالة الفعل إلى اليقين، والثاني إلى الشك، والثالث اليهما معاً، وجميع هذه الآيات القرآنية لم يتعدّ فيها الفعل إلى المفعولين كما اشترطوا. وربما وجدنا نصوصاً أخرى يمكن أن نحملها على هذا المعنى[118]. وتبعاً لما سبق لا تصمد هذه المرجعية أمام المعاني التي ارادت النصوص التعبير عنها. وتبدو قليلة الأهمية إذا أردنا توظيفها في الدرس اللغوي.

المرجعية الثالثة: وتبدو من أهم المرجعيات النحوية التي يمكن توظيفها والاعتماد عليها في تفسير بعض ما ذهب إليه أصحاب اللغة، في حمل معنى (الظن) على المعنى الأقل في كثير من الأحيان، وهو الشك. فكثير من اللغويين، ومن كتبوا في الأضداد، وأصحاب المعجمات يقدمون معنى الشك على اليقين في حديثهم عن دلالة (الظن)، ولعل الذي دفعهم إلى مثل هذا مرجعية نحوية انطلقوا منها للحديث عن دلالة هذه المفردة. وهذه المرجعية مفادها إنّ المصدر هو الأصل، وإن الفعل والوصف مشتقان منه. قال ابن عقيل: ((مذهب البصريين إنّ المصدر أصل، والفعل والوصف مشتقان منه))[119].

ومراجعة سريعة للنصوص القرآنية التي ورد فيها الظن بصيغة المصدر -خصوصاً المصادر غير المصاحبة للأفعال داخل سياقاتها القرآنية- تكشف لنا أن تلك النصوص كانت استعملت (الظن) بالمعنى المخالف لليقين كالشك، والتوهم، وربما كان هذا هو القائد والموجه الذي جعل كثيراً من اللغويين يندفعون إلى تأديم معنى "الشك" على معنى "اليقين" عند الحديث عن (ظن) في كتبهم على اختلاف أنواع التأليف فيها. فلما كان المصدر هو الأصل على رأي المدرسة الأكثر شيوعاً، وهي البصرية، وكان النص الكريم استعمل المصدر من (ظنّ) للدلالة على الشك أو التوهم. كل هذا أدى بالانصراف في حمل المعنى عندهم إلى ما تمت الإشارة إليه.

ويبدو أن هذا الرأي قد اعتمد المعيار أساساً لما ذهب إليه دون استقراء دقيق للنصوص اللغوية، والقرآنية التي استعملت فيها المفردة في سياقاتها المختلفة. وقد كشف الاستقراء الدقيق للنصوص عن نتيجة غير النتيجة التي توصلوا إليها، فاستعمال القرآن الكريم لـ(ظَنَّ) على اختلاف اشتقاقاتها الفعلية للدلالة على اليقين وبنسبة كبيرة جداً يدعونا إلى مراجعة المعنى الأصل الذي تدل عليه المفردة، والذي نرجح أن يكون اليقين، لا الشك. ومما لا شك فيه إنَّ المفردة اللغوية في أصلها إنما تدل على معنى واحد، ثم لظروف وأسباب كثيرة يمكن إنَّ تتشظى عنها معاني أخرى قد تحمل في بعض الأحيان معنىً مضاداً، وبهذا نرجح ومن خلال الاستعمال القرآني لـ(ظنَّ) ان يكون معنى اليقين هو المعنى الأساس لها، ثم انشق عنه المعنى الآخر وهو الشك. وقد يقوي هذا الذي نذهب إليه ما ورد من أبيات ونصوص شعرية ذكرها أهل اللغة استعملت المصدر (الظن) للدلالة على اليقين أيضاً مع استعمالها الصيغة الفعلية للدلالة على المعنى نفسه. وقد ذكرنا بعض هذه الشواهد في مطلع البحث.

ومع كل ما تقدم تبقى هذه القراءة خطوة أولى في طريق تقصي حقيقة دلالة هذه المفردة اللغوية، وقد اتخذت الدراسة المنهج السياقي في تحليل النصوص اللغوية عماداً لها في كشف المعنى وإماطة اللثام عنه، ومع إنها قد عنيت بجانب واحدٍ في هذا المجال، وهو النظر في النص القرآني، إلا إننا لا نجد بأساً في ذلك كما يقول أولمان، فالمنهج السياقي (طموح) إلى درجة لا يستطيع معها في كثير من الأحيان إلا تحقيق جانب واحد فقط، ولكنه، مع ذلك يمدنا بمعايير تمكننا من الحكم على النتائج حكماً صحيحاً[١٢٠]. وربما كان في استقراء معنى (ظن) في كلام العرب خطوة ثانية يمكن أن تكشف حقيقة المعنى، وتجلو ما التبس على الكثيرين من القدامى، والمحدثين.

الهوامش:

(١) ينظر: الأضداد في كلام العرب: ١/ ٤٦٦، والأضداد للأنباري: ٤، والأضداد لأبي حاتم السجستاني: ٧٢، والأضداد في اللغة لابن الدهان: ١٠١.

(٢) ينظر: اتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٢-٢١٤.

(٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٧-٣٢٨، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى: ٣٧٤، وتنزيه الأنبياء للشريف المرتضى: ١١٤، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣: ٥٤٥-٥٤٧.

(٤) ينظر: التطور اللغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي: ٩٢-٩٣.

(٥) دور الكلمة في اللغة، اولمان: ١١٧.

(٦) يراجع في ذلك: الأضداد للأنباري: ١٤-١٦.

(٧) ينظر: الأضداد للأنباري: ١٤، والأضداد لابن الدهان: ١٠١، والأضداد في كلام العرب: ١/ ٤٦٦-٤٦٧ واتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٤، وتنزيه الأنبياء: ١١٤.

(٨) ينظر: الأضداد في كلام العرب: ١/ ٤٦٦، واتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٤، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٤٥.

(٩) الأضداد: ١١٥.

(١٠) ينظر: الأضداد في اللغة آل ياسين: ١٠٠ وما بعدها، التضاد في ضوء اللغات السامية: ١٠-١٤، وعلم الدلالة: ٢٠٤-٢٠٨.

(١١) ينظر: لسان العرب: مادة (ظ ن ن).

(١٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٧.

(١٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٤٦٢ مادة (ظنَّ).

(١٤) ينظر: الأضداد: ١٦.

(١٥) هي: يونس: ٢٤، ويوسف: ٤٢، والأنبياء: ٨٧، والنور: ١٢٠، وص: ٢٤، والقيامة: ٢٨، والانشقاق: ١٤-١٥.

(١٦) يونس: ٢٤.

(١٧) الكشاف: ٢/ ٣٢٥.

(١٨) يوسف: ٤٢.

(١٩) ص: ٢٤.

(٢٠) القيامة: ٢٦-٢٨.

(٢١) الانشقاق: ١٤.

(٢٢) ينظر: اتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٤، وبصائر ذوي التمييز: ٣/٥٤٦.

(٢٣) الانشقاق: ١٠-١٥.

(٢٤) البقرة: ٢٣٠.

(٢٥) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٠٤.

(٢٦) ينظر: الوجوه والنظائر: ٣٧٤، وبصائر ذوي التمييز: ٣/٥٤٦.

(٢٧) البقرة: ٢٢٩.

(٢٨) هي: الأعراف ١٧١، والتوبة، ١١٨، ويونس: ٢٢، ويوسف: ١١٠، والكهف: ٥٣، والقصص، ٣٩، وفصلت: ٤٨، والحشر: ٢، والجن:٧.

(٢٩) الكهف: ٥٣.

(٣٠) تنزيه الأنبياء: ١١٤.

(٣١) القصص: ٣٩.

(٣٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٧.

(٣٣) الحشر: ٢.

(٣٤) ينظر: اتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٤، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٤٦.

(٣٥) الكشاف: ٤/ ٤٩٩.

(٣٦) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٤٤.

(٣٧) الحاقة: ٢٠.

(٣٨) ينظر: اتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٢، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٣٧٤، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٤٦.

(٣٩) الكشاف: ٤/ ٦٠٧

(٤٠) هما: فصلت: ٢٣، والفتح: ١٢.

(٤١) هي: فصلت:٢٢، والفتح : ١٢، الحشر: ٢، والجن: ٧.

(٤٢) فصلت: ٢٢-٢٣.

(٤٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢٨.

(٤٤) ينظر: الكشاف: ٤/٢٠١-٢٠٢.

(٤٥) فصلت: ٢٥.

(٤٦) الفتح: ١٢.

(٤٧) ينظر: الكشاف:٤/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٤٨) الجن: ١.

(٤٩) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٣/٥٤٦.

(٥٠) الجن: ٥.

(٥١) الجن: ١٢.

(٥٢) ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٢٦.

(٥٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٤٦.

(٥٤) الكشاف: ٤/ ٦٢٩.

(٥٥) ينظر:الأضداد: ١٤.

(٥٦) الكهف: ٣٥.

(٥٧) الكشاف: ٢/ ٦٧٤.

(٥٨) الكهف: ٣٦.

(٥٩) الكهف: ٣٧-٣٨.

(٦٠) الإسراء: ١٠١

(٦١) الإسراء: ١٠٢.

(٦٢) الإسراء: ١٠٢.

(٦٣) الإسراء: ١٠٣.

(٦٤) القصص: ٣٨.

(٦٥) غافر: ٣٧.

(٦٦) ينظر: الكشاف: ٣/ ٤١٨-٤١٩، و ٤: ١٧٢.

(٦٧) القيامة: ٢٤-٢٥.

(٦٨) الإسراء: ٥٢.

(٦٩) ينظر: الكشاف: ٢/ ٦٢٨.

(٧٠) الأحزاب: ١٠.

(٧١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٤٦.

(٧٢) الكشاف: ٣/ ٥٣٥.

(٧٣) الأحزاب: ١٢.

(٧٤) الأحزاب: ١٣.

(٧٥) الأحزاب: ٢٢.

(٧٦) الجاثية: ٣٢.

(٧٧) الأعراف: ٦٦.

(٧٨) الشعراء: ١٨٦.

(٧٩) الأعراف: ٧٠.

(٨٠) الشعراء: ١٨٧.

(٨١) هود: ٢٧.

(٨٢) هود: ٣٢.

(٨٣) الحج: ١٥.

(٨٤) المطففين: ٤.

(٨٥) الكشاف: ٤/ ٧٢١.

(٨٦) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٢٧.

(٨٧) هي: البقرة: ٤٦، ٧٨، ٢٤٩، وال عمران: ١٥٤، الجاثية: ٢٤.

(٨٨) آل عمران: ١٥٤.

(٨٩) الآيات: ١٥٢-١٥٤.

(٩٠) الكشاف: ١/ ٤٥٥.

(٩١) البقرة: ٤٦.

(٩٢) البقرة: ٢٤٩.

(٩٣) البقرة: ٧٨.

(٩٤) الجاثية: ٢٤.

(٩٥) هي: النساء:١٥٧، والأنعام: ١١٦، ١٤٨، ويونس: ٣٦، ٦٦، والحجرات: ١٢، وقد تكرر فيها المصدر معرفاً مرتين، والنجم: ٢٣، ٢٨ وتكرر فيها المصدر معرفاً مرتين.

(٩٦) هي: ال عمران: ١٥٤، ويونس: ٦٠، وص: ٧، والفتح: ٦، ١٢.

(٩٧) هما: الصافات: ٨٧، وفصلت: ٢٣.

(٩٨) هو: سبأ: ٢٠.

(٩٩) هما:يونس: ٣٦، والجاثية: ٣٢.

(١٠٠) هو: الأحزاب: ١٠.

(١٠١) هي: ال عمران: ١٥٤، والفتح: ١٢، وفصلت: ٢٣، والأحزاب: ١٠.

(١٠٢) هي: الجاثية: ٣٢.

(١٠٣) النساء: ١٥٧.

(١٠٤) الحجرات: ١٢.

(١٠٥) الفتح: ٦.

(١٠٦) الكشاف: ٤: ٣٣٦.

(١٠٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٢٧، وينظر بصائر ذوي التمييز: ٣: ٥٤٥.

(١٠٨) فصلت: ٤٨.

(١٠٩) هود: ٢٧.

(١١٠) هي: آل عمران: ١٥٤، والأعراف: ٦٦، هود: ٢٧، الإسراء: ١٠١، ١٠٢، الكهف: ٣٦، النور: ١٢،

الشعراء: ١٨٦، الأحزاب: ١٠، الفتح: ١٢، فصلت: ٢٣، ٤٨، ٥٠.

(١١١) الفتح: ٢.

(١١٢) القيامة: ٥.

(١١٣) هما: البقرة: ٢٣٠، والكهف: ٣٥.

(١١٤) ينظر: اتفاق المباني واختلاف المعاني: ٢١٢، والأضداد للأنباري: ١٥.

(١١٥) الفتح: ١٢.

(١١٦) الجاثية: ٣٢.

(١١٧) الأحزاب: ١٠.

(١١٨) هي: البقرة: ٧٨، فصلت: ٢٣، الجاثية: ٢٤.

(١١٩) شرح ابن عقيل: ٢: ١٧١.

(١٢٠) دور الكلمة في اللغة: ٦١.

المصادر:

١. القران الكريم.

٢. اتفاق المباني واختلاف المعاني، سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت٦١٤هـ) تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م.

٣. الأضداد، أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م.

٤. الأضداد، السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت٢٤٨هـ)، تحقيق: اوغست هفنر، المطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٩١٣م.

٥. الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: عزة حسن، دمشق ١٩٦٣م.

٦. الأضداد في اللغة، لابن الدهان البغدادي النحوي (ت٥٦٩هـ) وهو منشور ضمن كتاب (نفائس المخطوطات) للشيخ محمد حسن ال ياسين، مكتبة النهضة، بغداد.

٧. الأضداد في اللغة، محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤م.

٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٩. التضاد في ضوء اللغات السامية، د. ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.

١٠. التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الرائد للطباعة ، القاهرة، ١٩٦٦م.

١١. تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٤٣٦هـ)، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف الشرف ١٣٧٩هـ=١٩٦٠م.

١٢. دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمه وقدم له وعلق حواشيه د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٧٥م.

١٣. شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث، القاهرة، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

١٤. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

١٥. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان.
١٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله بن عمر (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
١٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت٦٢٧هـ) تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
١٨. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٩. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران- قم.
٢٠. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، عن هارون بن موسى (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

"Reckoning in the Holy Quran: A study in Opposition"

The present paper aims at investigating the words or utterances indicating "reckoning" in the Holy Quran with reference to the various contexts in which they occur. Most linguists and exegesists consider these words as contradictives since they carry the meanings of both doubt and certainty. Moreover, they look at these opposite meanings in equal terms with giving doubt. Priority over certainty. The researcher aims at refuting this view through the analysis of sample Quranic texts with reference to their contexts. It has been concluded that "reckoning" utterances are most ofter used in the Holy Quran to indicate "certainty" and rarely to indicate "doubt".